E- ISSN : 2571-9742
DM

دراسة بيوغرافية.الشّيخ العلاّمة محمّد المكّي بن عزّوز

هشام دياب

طالب دكتوراه جامعة سيدي بلعباس

المقرر : د. محمد الزين(*)

جامعة سيدي بلعباس

ezzine-mohammed59@hotmail.fr

تاريخ الإيداع: 2017/01/15 **تاريخ القبول: 2018/03/01** **تاريخ النشر : 2018/03/31**

الملخص:

يعتبر المكي بن عزوز من أكبر وجوه العلم والأدب في العالم العربي والإسلامي، حيث كان مصلحا متفتّحا يميل إلى الاجتهاد دون جمود أو تقليد، عرف بمواقفه الشديدة من الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس، وأسهم في النهضة الثقافية والعلمية فيهما، هاجر إلى تركيا، وترك آثارا واضحة في ميادين كثيرة.

الكلمات الدالة:

المكي بن عزوز ؛العلم ؛الأدب ؛النهضة الثقافية والعلمية

.

Abstract:

Elmekki Ben Azzouzi considered one of the great figures of science and literature in the Arab and Islamic world. He was an open-minded and a reformer who believed in hard work rather than imitating others. The man was well-known for his strong opposition and hatred to the French colonolizer in Algeria and Tunisia. He contributed in the cultural and scientific renaissance. He immigrated to Turkey. He left a lot of traces in many fields.

key words :

Al-Makki ben Azzouz; science; literature; cultural and scientific renaissance

(*) المؤلف المطابق

E- ISSN : 2571-9742
DM

ارتبط تاريخ الجزائر المعاصر بجهود أقطاب بارزين تركوا بصمات واضحة في مسار الحركة الوطنيّة بأشكالها الثّقافية والسّياسيّة المختلفة، وكان لهم عظيم الأثر في بعث نهضتها الثّقافيّة والفكريّة والتّصدي للمشروع الاستعماري الفرنسي الأوروبي، الذي رام إلى إلغاء كيان هذه الأمّة، وجعلها فضاءا تابعا لما وراء البحر ومزرعة لاستثمار سمومه الفكريّة والأخلاقيّة، فسجّلوا بذلك أروع المشاهد، وخلّدوا أنصع الصّفحات، خاصة أولئك الذين ضربوا في الأرض مرغمين، والذين أجبرهم الاحتلال على العيش في المنافي؛ ولا نقصد بذلك فصلهم عن بيئتهم الجديدة التي استبدلوا فيها أهلا بأهل، والّتي وجدوا فيها الرّاحة والعزاء عمّا فقدوه من أرض وولد وجاه، وإنّما لنذكّر الجيل الجديد بمساهمة أولئك الأجداد في خدمة الثّقافة العربيّة والإسلاميّة، والتّعرّف على دور الجزائريّين سواء في الشّام أو تونس أو استانبول أو غيرها، ذلك أن الهجرة شملت في أغلب الأحيان رجال العلم والأدب والصّحافة والسّياسة والدّين، فكان دورهم ومساهماتهم كبيرة رغم أن بلادهم الأصليّة قد خسرتهم.

ومن هؤلاء الأعلام الشّيخ العلاّمة محمد المكّي بن عزوز البرجي، الذي يعدّ شخصية جزائرية بارزة في العصر الحديث، وهو أحد العلماء الذين تجاوزت هامتهم حدود الجزائر، وشاع صيته في تونس والمشرق العربي، والباب العالي مقر الخلافة العثمانية، حيث كان مصلحا متفتّحا يميل إلى الاجتهاد وإعمال الفكر دون جمود أو تقليد. فالشيخ –رحمه الله– يعدّ من الرّعيل الأوّل والجيل المؤسّس والصّانع لحركة الصّحوة الإسلاميّة الحديثة، ومن المطّلعين على الأفكار العصريّة مع كونه شيخ طريقة، كما أسهم بآرائه ونشاطه وتلاميذه في نمط التفكير السائد في بلاده، وهو بإنتاجه الفكري والثّقافي والعلمي المتنوّع والشّامل وبعلمه الدّعوي والنّضالي المنظّم والمستمر، وبجهوده الإصلاحيّة في ميادين التّعليم والتّربية يمثّل مدرسة كاملة، وتجربة نادرة غنيّة وفذّة تستقطب اهتمام الباحثين في العالم العربي والإسلامي، وقد أسهم في النّهضة الثّقافية والعلميّة والأدبيّة في كلّ من الجزائر وتونس وأقطار من العالم العربي والإسلامي، وترك آثاره الواضحة في ميادين كثيرة، وهو من الشّخصيات الّتي تتنازعها كلّ من الجزائر وتونس، وقد نضيف إليهما تركيا، إذ من الأولى أصله وتوجيهه، وفي الثّانية نشأته وتحصيله،أمّا في الثّالثة فكانت هجرته ومدفنه.

أسهمت في النهضة الثقافية والعلمية والأدبيةفي كلّ من الجزائر وتونس وأقطار من العالم العربي والإسلامي، وتركت آثارها الواضحة في ميادين كثيرة، فالشيخ اشتهر بنبوغه في علم الحديث، وكان أكبر راوية فيه، وعرف بمواقفه الشديدة من الاستعمار الفرنسي، وبجهوده الإصلاحية والتربوية التي قام

E- ISSN : 2571-9742
DM

بها طوال حياته، وكان رمزا للعالم المجاهد الغيور على دينه وأمته ووطنه وهو من العلماء الأجلاء الذين تفخر الجزائر بهم وتعتزّ بانتمائهم إليها،وتدين لهم في نهضتها العلمية و الإصلاحية الحديثة.

ومن خلال ما سبق، سنحاول أن نتناول بالمناقشة والتّحليل مسألة تتعلّق بتجربة الشّيخ المكّي بن عزّوز، الّذي أظهر مقدرة كبيرة في الخوض في ميادين الإصلاح والنّضال، وحمل فكرا متنوّرا وتصوّرا عصريّا ضمن إطار مرجعيّة تقليديّة تكوينا واحتكاكا، خاصة وأنّه عاش في فترة كانت غنيّة بالأحداث والوقائع التّاريخيّة والسّياسيّة والاجتماعية والثّقافيّة، وتباينت فيها الاتجاهات العقديّة للعلماء، واختلفت فيها المناهج في تقرير مسائل العقيدة، وبالنظر إلى العديد من المعطيات حول أصوله ونشأته الصّوفية ورحلاته العلميّة، وهجرته إلى تركيا، ومساهماته العديدة، نطرح جملة من التّساؤلات والاستفهامات التي نراها تفرض نفسها في هذا السّياق، أهمّها ما يلي؟

- ما هي البيئة التي عاش فيها المكي بن عزوز؟ وما مدى تأثيرها على تكوين شخصيته؟
- فيم يتمثّل نشاط الشيخ الإصلاحي والتربوي؟ وإلى أيّمدى كان هذا النشاط فاعلا؟
- ما هي أسباب ودوافع هجرته إلى المشرق؟ ولماذا قصد عاصمة الخلافة؟
- أين هو المكّي بن عزوز بين من يراه متعلّقا بالتصوّف داعيا له، ومن يرى أنّه غيّر مذهبه وأصبح سلفيّا، وأنّه تأثّر بالوهّابيّين.
- كيف كانت مواقفه من بعض القضايا التي عاصرها الشيخ؟
- ما تفسير هذا الكمّ من التّآليف والكتابات للشّيخ؟ وفيما تكمن قيمتها العلميّة؟

01/ المولد والنشأة:

❖ مولده ونسبه:

ولد العلامة محمد المكي بن عزوز بتاريخ 15رمضان1270 هـ الموافق لـ 1854 م ، ببلدة"نفطة" بأرض الجريد في الجنوب التونسي، وقد سمّاه عمّه الشيخ محمد المدني بالمكي تيمنا بـ (طالب المكي) صاحب كتاب (قوت القلوب) وكناه بأبي طالب(2)،أصله من بلدة البرج بالقرب من مدينة طولقة الواقعة غرب مدينة بسكرة، فقد هاجر والده الشيخ مصطفى بن عزوز سنة 1844م إلى تونس واستقر بمنطقة الجريد بـ ' نفطة ' مع أفراد من أسرته و مريديه، وذلك إلى عدة أسباب،أهمّها ما ذكرته الباحثة الأمريكية (جولي سميث) من تعاظم الضغط الفرنسي في الجزائر خصوصا مع بدايات الاحتلال

E- ISSN : 2571-9742
DM

الفرنسي للزيبان، ودخول دار الإسلام تحت هيمنة دار الكفر (إذ يعتبر الفرنسيون المستعمرون التّراب الجزائري ترابًا فرنسيا). كما كان لانتصار الجيش الفرنسي على المجاهدين الجزائريين دافعًا لهم للعزم على الهجرة، وخاصةإلى أرض الجريد،أين أسّس بها زاوية (نفطة) الشهيرة، ولم يكن هدفه الأسمى معقودا على الهجرة في حدّ ذاتها، إنّما اعتبرها أداة تمكنه من توفير المكونات التأسيسية و التنظيمية والمادية من أجل حركة جماعية طويلة النفس.(3)

- نسبه الشريف:

تذكر العديد من المصادر أنّ نسب الشيخ المكي بن عزوز شريف، فهو محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبد المؤمن بن محمد بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن علي بن عبد العزيز بن سليمان بن بلقاسم بن سليمان بن بلقاسم بن أحمد بن أدليم بن عزوز بن محمد بن بوسعيد بن عبد الله بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكاملبن محمد الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب من زوجه فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام.(4)

❖ **نشأته وتعلمه:**

نشأ الشيخ –رحمه الله– نشأة سامية، ذلك لأنه اكتنفها عاملان أساسيان يتمثلان في: طبيعة البلدة وشرف العائلة. أما البلدة وهي (نفطة) فكانت يومئذ آهلة بالعلم زاخرة بالأدب، ناشطة بحركة التّدريس والحوار والتّأليف حتى اشتهرت باسم الكوفة الصغرى، ولا غرابة أن يطلق عليها هذا الاسم المطابق للموصوف ويتداول التشبيه لها بمدينة الكوفة بالعراق، التي برز فيها أعلام العرب من رجال الفقه والأدب واللغة وسائر العلوم الأخرى، وكانت تعجّ بحلقات العلم والدّروس والمناظرة في شتّى فنون اللغة والفقه والحديث، وذلك لكثرة علمائها، وكثرة دور العلم من الجوامع والمساجد التي تجاوز عددها الأربعين، كما ازدانت البلدة بثوب رائق من الأدب، يقول عنها الشيخ محمد الخضر حسين: "... وكان للأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة نفحات تهبّ في مجالس علمائها.."هذا عن طبيعة البلدة ومكانتها العلمية، أما شرف العائلة وقيمتها فيرتكز على أمرين اثنين هما:

الأول، ما اشتهر به جدّ مترجمنا الشّيخ محمد بن عزوز (ت: 1818م) من الورع والصلاح، والقدم الرّاسخة في العلوم الشرعية، فهو من نشر الطريقة الرّحمانية الخلوتية في منطقة الزّاب وفي الجنوب الجزائري، وأسّس زاويته الشهيرة في منطقة (برج بن عزوز) الزّاوية الأم لزاويتين شهيرتين كذلك هما:

E- ISSN : 2571-9742
DM

زاوية (علي بن عمر)في طولقة، وزاوية (مصطفى بن عزوز) –والد مترجمنا– في نفطة، والّتي سبق الإشارة إليها.

كما تفرّعت منها العديد من الزوايا التي أسسها خلفاء الشيخ وتلامذته، والذين حملوا راية العلم والجهاد، وناصبوا فرنسا العداء مثل:

- زاوية الشيخ المختار بن خليفة بن عبد الرّحمن، صاحب زاوية (أولاد جلال)، الذي تزعم الانتفاضة مع الشريف بومعزة سنة 1849م.
- زاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في (خنقة سيدي ناجي) بجنوب الأوراس وهو قائد معركة (وادي براز) قرب (سريانة) بنواحي بسكرة سنة 1849م.
- زاوية (القص) والّتي أسسها الشيخ الصادق بن الحاج مقدم الرّحمانية بأحمر خدو، والتي تعد قلعة العلم والجهاد، وهو صاحب ثورة 1858م بالأوراس.

وزاوية الشيخ الصادق بن رمضان بسيدي بركات، الذي دعّم مقاومة عبد الحفيظ الخنقي والصادق بن الحاج في معركة (سريانة) بالدعاية وجمع السلاح، فعوقب بالنفي إلى بلدة البرانيس ثم إلى جمورة.

أما الأمر الثاني فيتعلق بوالد مترجمنا الشيخ مصطفى بن عزوز لما اشتهر به هو الآخر في بلدة (نفطة) التي كان قد هاجر إليها كما ذكرنا، وأسّس بها زاويته الشهيرة التي أصبحت قبلة لطلاب العلم من الجزائر وتونس، وغيرها من بلدان المغرب العربي، بعد أن استقدم إليها نخبة العلماء والمشايخ، كما كانت أيضا ملجأ للمجاهدين والمواطنين المضطهدين من طرف السلطات الاستعمارية.كما ترجع شهرة الزّاوية إلى كونها أصبحت مدرسة للتّعليم بالإضافة إلى دورها الديني والاجتماعي، فكان طلاّبها يكملون تعليمهم بجامع الزّيتونة، ويتولّون الوظائف الدينية كالقضاء والتعليم.وهكذا انتشر صيت والد الشيخ المكي –رحمه الله– ونجح في اجتذاب عدد كبير إلى طريقته التي تميّزت بالتخفيف من الكثير من القيود، وذلك ترغيبا للناس.

وبذلك يكون صاحب الترجمة قد نشأ في دوحة علمية في أحضان أسرته التي توارثت العلم والمجد كابرًا عن كابر، وفي زاوية أبيه ذات الصّيت الشهير في كلّ الآفاق، وتولّى والده العالم الصالح التقي تربيته وتوجيهه وتعليمه، فكان ذكيّا شجاعا وظهرت عليه –منذ صغره– مخايل النبوغ والفطنة.وهكذا كان –رحمه الله– بما أوتي من المواهب وما اكتسب من جميل النشأة وطيب المنبت مقرّا لتلقي نتائج العلم التي استقرت عند علماء الجريد.

E- ISSN : 2571-9742
DM

ويقول الشيخ فيما يتعلق بنشأته: " فأنا قد ربّيت في معهد العلم من صغري وقد وسع الله علينا من رزقه ما سهل به القراءة زمان التّعلم والإقراء على شيوخ عديدة، على اختلاف مشاربهم، وتفاوت درجاتهم تفننا وأخلاقا"

2/ تحصيله العلمي:

أخذ الشيخ المكي بن عزوز على عدد كبير من الشيوخ تجاوز عددهم (65) فيما ذكره الكتاني، و هذه الكثرة نادرة عند المتأخرين(8)،إذ قرأ في (نفطة) على يد الشيخ قاسم الخيراني (شرح الشيخ خالد الأزهري على الأجرومية) و(شرح ميارة) على يد بن عاشر في الفقه و قرأ(الرحبية) و (الدرة البيضاء) في علم الفرائض و (مبادئ علم الفلك) على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الثارزيبن عزوز و هو بن عمه, و قرأ (ألفية بن مالك) بشروحها و (مختصر خليل) بشروحه على يد الشيخ النوري بن أبي قاسم الزيدي النفطي , و درس (شرح الترمذي) على يد الشيخ الجليل محمد المدني بن عزوز (عمّه) , ومن شيوخه في نفطة كذلك الشيخ إبراهيمالنختريالتوزري.أما عن شيوخه في جامع الزيتونة، فقد تلقى على كبار الشيوخ من علماء جامع الزيتونة , و قرأ على العلامة عمر بن الشيخ المفتي المالكي بالحاضرة(المحلّى على جمع الجوامع) و (الموطأ) و (مختصر السعيد) و غيرها , و قرأ على شيخ المشايخ بها المفتي المالكي (مقالات الحريري) و درس (المعنى) على يد شيخ الإسلام سالم بوحاجب،وأخذ (القراءات السبع)رواية ودراية على شيخ القراء محمد البشير التواتي(9). والعديد العديد من المشايخ وحصل على الإجازات العلمية من شيوخه وعلماء عصره بما يقارب عددهم الثمانين مجيزا بتونس والجزائر والمغرب ومصر والحرمين الشريفين ودار الخلافة وغيرها من البلدان.فتعمّق علمه وسما أدبه وعلت منزلته واشتهر بالتفوق في الفنون الأدبية والبراعة في العلوم الرياضية بين أقرانه، وأحبه مشايخه وقربوه.(10)

كما اتصل الشيخ المكي بن عزوز في الجزائر بالأستاذ المربي الشيخ محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل فاستفاد منه وأفاد وأخذ عنه التصوف والطريقة والسلوك.(11)فاكتملت له صفات العالم الجليل على حداثة سنه وبرع في المعقول والمنقول والفروع والأصول وخاصة في التفسير والحديث وعلم الكلام والقراءات وفي الفلك والرياضيات...(12)

03/ رحلاته العلمية وجهوده الإصلاحية والتربوية:

E- ISSN : 2571-9742
DM

ممّا عرف على الشيخ المكي بن عزوز أنه كان كثير التنقل بين تونس والجزائر، ثم بين هذه والمشرق، فلمّا روى –رحمه الله– القدر الكافي من العلوم على عدة أساتذة ومشايخ أجلاء، والذين لازم كثيرهم بالمعهد الزيتوني لم تقنع همته واشرأبّت نفسه للاستزادة بعد هذه المرحلة؛ وقصد في ذلك القطر الجزائري واتصل كما ذكرنا بالمربي الشيخ محمد بن أبي القاسم الشريف الحسيني صاحب زاوية " بوسعادة " المعروفة بزاوية الهامل، فأخذ عنه التصوّف والطريقة والسلوك، وكذلك فعل في زاويتهم العزوزية بطولقة في عهد الشيخ علي بن عثمان، كما اتصل بكبار علماء مدينتي الجزائر وقسنطينة وأخذ منهم على غرار الإمام المعمر المحدث الشيخ علي ابن الحفاف مفتي المالكية في مدينة الجزائر، الذي قصده سنة 1888م، فأخذ مع خاله الشيخ أبي القاسم الحفناوي (صحيح الإمام البخاري) ورويا عنه بالسند العالي الشهير، وكان يلقي الدروس في كل مكان يحل به في وطن آبائه وأاده.

وبذلك اكتملت له صفة العالم الجليل على حداثة السن إذ كان عمره أقل من سبعة وثلاثين سنة، وحصل على الإجازات العلمية من شيوخه وعلماء عصره بما يقارب عددهم من الثمانين مجيزا بتونس والجزائر والمغرب ومصر والحرمين الشريفين والآستانة.إلاّ أنّ الكتب التي ترجمت للمكي بن عزوز لم تستقص ذكر شيوخه، ولو كان كتابه (النفحات الرّحمانية) بين أيدينا لسدّت هذه الثّلمة، لأن الشّيخ – رحمه الله– جعل بابا خاصا في خاتمة هذا الكتاب، حفظ فيه تراجم شيوخه الذين أخذ عنهم،وكذلك الشأن مع رحلاته، حيث لم يجر ذكر تفاصيلها في مراجع الترجمة. وعن انتقاله نحو المشرق، فذكرت بعض المصادر أنّه ارتحل إلى طرابلس الغرب (ليبيا)، فمكث فيها شهرين، انتفع في أثنائها أهلها به وبعلومه، ثم امتطى متن الباخرة إلى بنغازي فمكث فيها نحو الشهرين أيضا، ولاقاه أهلها بالترحاب، واتصل به كبار الشيوخ والعلماء.

توجّه بعد ذلك إلى جزيرة " كريت " واستضافه فيها قاضيها الشيخ البغدادي، ثم إلى " أزمير " في تركيا لمدة شهرين، وانتهى به المطاف العلمي إلى مدينة (استانبول) وخرج لملاقاته والترحيب به الأعيان والأفاضل إلى جانب العلماء والشيوخ ومنهم الشيخ محمد ظافر والشيخ عبد الرحمن الجزولي والشريف عبد الإله باشا، ومحي الدين باشا بن الأمير عبد القادر الجزائري، فانتشر صيته في المدينة والتف حوله طلبة العلم، يقول الشيخ المكي بن عزوز –رحمه الله–: " وارتحلت إلى بلدان عديدة، فجمعت بعض ما كان متفرقا من العلوم والحمد لله ".

E- ISSN : 2571-9742
DM

فاجتمعت عنده في جميع الكتب والفنون المتداولة والغربية إجازات سامية وأسانيد عالية قلّ أن توجد عند غيره، ونظرا لبراعته وتفنّنه في مختلف العلوم لقّب الشيخ بالفقيه، الأصولي، المحدث، المفسر، الأديب، الشاعر، الفلكي، وكان يتمتع باحترام أساتذته نظرا لدرايته وعزيمته وهمّته العالية، وفكره العميق ورأيه السّديد. هذا وعرف المكي بن عزوز باقتنائه للكتب وجمعها وطلبها من أقاصي البلدان وكانت مكتبته نادرة المثال بالتصنيف والمحتوى من الذخائر التي لا يقتنيها إلا القليل، وعمل على توسيعها وتزويدها بكل ما يصدر وينشر من مؤلفات، ونقلها معه إلى "استانبول" عندما حل بها سنة 1896م، مع الحرص على الاستزادة من الكتب حتى بلغت مبلغا من الشهرة يشار إليها بالبنان.

كما ضمت مكتبته النقائص من الكتب التي آلت إليه من كتب أبيه الشيخ مصطفى وجده وأسرته، وما اقتنى هو من الفرائد والجرائد التي كانت تزخر بها عاصمة الخلافة الإسلامية وتأتيه وتهدى إليه من الجزائر وتونس وغيرها.

وعرف عليه أيضا أنه ينفق النفيس لإثرائها فقد ذكر عنه الكتاني ذلك قائلا: " وكان كثير التّهافت على جمع الفهارس وتملّكها حتّى حدّثني محمّد بن عبد الرّحمن الدّيسي عنه أنه اشترى (ثبت السقاط) وهو في نحو الكراسين بأربعين ريالاً، وهذا بذل عجيب بالنسبة لحاله.أما عن ما آلت إليه مكتبته فقيل أنها نقلت من قبل التجار الوراقين إلى مدينة (تطوان) بالمغرب واستقرت في المكتبة الوطنية فيها، أو أنّها تكون قد بيعت هناك.ومن جانب آخر كان الشيخ متقنا للغة التركية بارعا فيها، وقد تعلّمها بعدما هاجر إلى (الآستانة) ، وكذلك اللغة الفارسية، وذلك لوجود إشارات تدلّ على ذلك كقوله: " وقفت على عدد وافر من تراجم كبار من أولياء وعلماء في كتب اللغتين التركية والفارسيّة.

وبذلك يكون الشيخ –رحمه الله– قد حاز قصب السبق بين أقرانه في أخذه العلم عن أولئك الأعلام المحققين واعتنائه بحفظ المتون واجتهاده في مزاولة مبادئ العلوم، فكان معدودا في طليعة الأدباء والشعراء متعلقا بمنهج الرواية والإسناد وخدمة السنة النبوية، مقبلا على ما كان يعد منقطعا من علوم الرياضيات، مجددًا لعهدها مروجا لكتبها، يقول فيه الشيخ عبد الرّحمن الجيلالي: "... تفنن في المعقول والمنقول، في الفروع والأصول، بالأخذ عن أولئك الأعلام المحققين حتى رزق الفتح المبين من ربّ العالمين، وأصبح من أطواد الأمة ومصابيح الدين، جمع الله فيه ما تفرق في غيره من العلوم والفنون، وبرع في الخصوص في التفسير والحديث والأصول وفي علم الكلام والقراءات والرياضيات...، ونظرًا لما اشتهر به الشيخ –رحمه الله– من العلم والمعرفة إلى جانب النسب الشريف والأخلاق الحميدة –إذ

E- ISSN : 2571-9742
DM

يعتبر من العلماء أكبار الذين خاضوا في كل بحر وفن، وطرقوا كل أبواب العلوم الشرعية واللغوية والأدبية– فقد أسندت إليه المناصب الإسلامية الرّفيعة وهو في مقتبل الشباب، ففي سنة 1880م أجيز من قبل خير الدين باشا على تولّي خطّة الإفتاء بمسقط رأسه (نفطة)، وعمره سبع وعشرون سنة، فقام بالخطة على أكمل وجه، واعتزلها اختيارا بعد الاحتلال الفرنسي لتونس في سنة 1881م، ورجع بعدها إلى تونس لمواصلة التدريس هناك، وفي سنة 1889م، تولّى منصب القضاء في (نفطة) بإلحاح وتكليف وحرص من السّلطة، فوقف في نصر المحقين، وقهر المبطلين وإقامة الحدود الشرعية بقدر الإمكان، وذلك كما اشتهر به من علم غزير وخلق رفيع.

اختار الشيخ –رحمه الله– بعدها السّكن هو وعائلته في حاضرة تونس، فانتقل إليها أواخر سنة 1891م، فابتهجت به صدور المحبين لنشر العلوم والمعارف، واشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة، فتصدى لذلك ونثر الدرّ النّفيس ببراعة وإفصاح واقتدار على حسن الإيضاح، مع سعة أخلاق تنشيط الطالبين وتنشئ فيهم الرّغبة في البحث المثمر للتّحصيل المبين.ومن الكتب العلميّة التي أقرأها الشيخ بن عزوز: (شرح الدردير على خليل) و(البخاري بأحد شروحه) و(الأربعين النونية) و(الجامع الصغير).

كما درّس في جوامع أخرى مثل:

- جامع (الهوا) في مدينة تونس وأقرأ فيه (الهمزية) للبوصيري
- وفي جامع (المرّ) أقرأ (مقامات الحريري).
- وفي جامع (الفتح)
- وفي جامع (القصر) درس شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهير

وفي وطن آبائه وأجداده الجزائر التي كان يتردد عليها دائما ويقضي شهورا فيها كان يلقي الدّروس في كلّ مكان يحلّ به، فترك ذكرا طيبا وأثرًا حميدًا، يقول عنه محمد علي دبوز:" ... كان السحاب المبارك الذي يخيم على المكان ساعة فيملؤه بمائه وحياته...".

وعندما هاجر إلى الآستانة حوالي سنة 1896م، اقترح عليه جماعة من العلماء هناك بإلقاء جواهر دروسه – خاصة أنه تعلم اللغة التركية وأتقنها– فتصدّر لنشر العلوم بعزم ثابت، وأقرأ: كتاب (فتح الباري) لابن حجر و(المحلي على جمع الجوامع)، و(صحيح مسلم) ومقامات الحريري و(الألفية) و(الجغرافيا) و(الفلك) و(شرح المعلقات) وا(لسيرة النبوية) و(رسالة القيروان)ي في الفقه و(بلوغ المرام) و(الكافيجي) في النحو وغيرها من علوم البلاغة واللسان.

E- ISSN : 2571-9742
DM

وفي بحر سنة 1905م، أسست الدولة العثمانية كلّية عظيمة بالآستانة، أطلق عليها اسم (دار الخير)، فعين مجلس معارفها صاحب الترجمة مدرسا للحديث الشريف بها بالاختصاص، واستمر فيها الشيخ مدرسًا، إضافة إلى دروسه في المساجد والمجالس الخاصة. وفي سنة 1909م، وإثر وفاة الشيخ إسماعيل حقّي، أستاذ التفسير في الكلية، اسند هذا المنصب وقلدته وزارة المعارف التركية للشيخ المكي بن عزوز مع إبقائه في منصبه الأول.وفي العام نفسه، أسّست الحكومة التّركية كلّية أخرى تحت اسم (مدرسة الوعاظ)، أو (الواعظين)، فعيّن صاحب التّرجمة فيها أيضا مدرّسا، وكان يلقي دروسه في كلتى المدرستين باللسانين العربي والتّركي مع مقدرة عظيمة.

04/ تلاميذه:

يقول الجيلالي:" تخرج على يديه جم غفير من سائر الأقطار الإسلامية في العلوم العقلية والنقلية بتونس والجزائر وطرابلس الغرب وبنغازي والأستانة وانتشر تلامذته في الحواضر والبوادي حتى صار علماء المدن التي دخلها كالجزائر وقسنطينة ونجباؤها وكبراؤها تلاميذ له، وبعضهم يقنع بالانتساب إليه ولو بالإجازة،(13) ولعل أشهرهم على الإطلاق هو ابن أخته وتلميذه أكبر وجوه العلم والأدب في العالم العربي والإسلامي في عصره، العالم الأديب الباحث الشاعر محمد الخضر بن الحسين الجزائري الأصل أيضا، وهو من هو، عضومجمع فؤاد الأول للغة العربية وشيخ الأزهر وناقض كتاب { في الشعر الجاهلي} للدكتور طه حسين(14)، والشيخ المصلح عبد الحليم بن سماية (1866 ـ 1933)، والمؤرخ أبو القاسم محمد الحفناوي (1852 ـ 1941)، صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف، والمحدث الشيخ علي بن الحاج موسى (1828 ـ 1909)، وجمع غفير من طلبة العلم الذين كانوا يقصدون دروسه من كل حدب وصوب، يأتي عللى رأسهم الزعيم السياسي عبد العزيز الثعالبي (1874 ـ 1944)، الذي يعده من شيوخه الذين أثر فيه فكرهم الحر ونزعتهم الاصلاحية وغيرتهم الوطنية.(15)

05/ مناهضته للاستعمار:

ولما كان جامع الزيتونة منهل العلوم والمعارف ومعقل العروبة وحامل أمجاد الإسلام الطارف منها والتليد، غرس في نفوس طلابه هذه الروح الأبية فاصطبغ خريجوه بصبغة الولاء لمجد العروبة والإسلام ومن هنا كانوا هم المشاعل النيرة التي أضاءت طريق الجهاد ضد المستعمر الفرنسي البغيض. لقد كانت

E- ISSN : 2571-9742
DM

الزيتونة ممثلة في شخص علمائها وأبنائها وخريجيها في الصف الأمامي على خط المواجهة مع العدو إذ أجج شعلة الجهاد ضد الفرنسيين فور احتلالهم تونس عام 1881م مشايخ من أهل العلم والفضل والدين فقاد حركة المقاومة الشيخ محمد السنوسي حتى نفته السلطات الاستعمارية إلى الخارج، فحمل راية الجهاد من بعده الشيخ محمد المكي بن عزوز وكان من مشائج الزيتونة الثوريين، وكان مصيره هو الآخر الإبعاد.

إذ يذكر الأستاذ عبد العزيز الثعالبي رحمه الله عن الشيخ محمد المكي بن عزوز أن دروسه كلها وطنية فقد كان يبعث في الذين يتلقون دروسه فكرة مقاومة المحتل وروح التضحية ومبدأ الإخلاص في العمل والثبات عليه. وأنه تلقى عليه رحمه الله أول درس في الوطنية الأمر الذي استفاد منه في عمله الوطني فيما بعد ولم ينسه له ما كان حيا.(19)كما يقول الدكتور عمار هلال من جامعة الجزائر في كتابه: (الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري تطورها ورجالها)

"ومحمد المكي بن مصطفى بن عزوز(1854-1915) وهو أديب شاعر،قاض، عالم بالفقه والحديث له اشتغالات بالسياسة وآراء إصلاحية دينية واجتماعية وسياسية معتبرة، وأثناء زيارته للجزائر كان ينشر أفكاره المناهضة للاستعمار وذلك أن اسم عائلة بن عزوز كان يحمل عند الفرنسيين معنى الثورة والعداوة لهم، فلم يكتف الشيخ المكي بالدعوة للمقاومة العسكرية للمستعمر بل حاربه اقتصاديا، كذلك عندما أفتى بتحريم كل المواد الدسمة التي ترد من فرنسا كالصابون والشمع والشحم مادامت هذه المنتجات يستطيع الجزائريون صناعتها.ولما توجس منه الفرنسيون خيفة وضاقوا من نشاطاته ذرعا أخذوا يراقبون تنقلاته وأرسلوا إلى القائد ' زروق ' في زريبة الوادي بالقبض عليه لأنه كان نازلا هناك فأنذره القائد الوطني ونجاه الله، فارتحل إلى نفطة ثم إلى تونس، ووجد الاستعمار يطارده، فضاق ذرعا بالمغرب الذي يخيم عليه الاستعمار، فعزم الهجرة إلى دار الخلافة آنذاك.(20)

06/ هجرته إلى عاصمة الخلافة العثمانية:

وفي سنة 1316هـ ارتحل إلى طرابلس الغرب فمكث فيها شهرين انتفع في أثنائها أهلها به وبعلومه، ثم امتطى متن الباخرة إلى بنغازي فمكث فيها نحو شهرين كذلك ثم توجه إلى جزيرة كريت ونزل ضيفا مكرما على قاضيها الشيخ البغدادي ثم شن عزمه إلى أزمير فمكث فيها مدة شهرين ثم توجه إلى الأستانة فلقيه في مرساها نخبة من الأفاضل الأعيان كمحي الدين باشا بن الأمير عبد القادر والشيخ

E- ISSN : 2571-9742
DM

محمد ظافر والشيخ عبد الرحمن الجزولي والشريف عبد الإله باشا وغيرهم فنزل ضيفا معظما مبجلا ومكرما يتداولون ضيافته الواحدة بعد الواحدة بكل حفاوة وإكرام.(21)

والظاهر أن هجرته إلى عاصمة الخلافة العثمانية لم يكن الغرض منها الفرار بدينه إلى أرض السلام هروبا من العدو والاستعمار على غرار ما فعله الكثير من الجزائريين العاديين بل كان الهدف هو تجنيد التأييد العثماني لقضية الجزائر والمغرب العربي عموما. ولما حل باسطنبول عينه السلطان العثماني عبد الحميد مدرسا للحديث والفقه في (دار الفنون) بدار السعادة، وذاع صيته في المشرق كما اشتهر في المغرب، وكان في العالم الإسلامي أشهر من نار على علم لعلمه ودينه وشخصيته القوية ثم انتقل إلى المدينة في حدود عام 1912م للتدريس في الجامعة الإسلامية بها، وفي الحجاز أسس جمعية الشرفاء التي يروي عنها أنها قامت بحملة دعائية مناهضة للفرنسيين بتونس والجزائر وقد اشتبه في الشيخ بن عزوز بأنه يقوم بزيارات سرية إلى صهره الشيخ مصطفى بوخريص في تونس وإلى ابنه الكامل بن عزوز الشيخ الأكبر للطريقة الرحمانية في سوق أهراس بالجزائر".(22)

07/ أهم أعماله وتوليه المناصب:

تولى المكي بن عزوز الإفتاء في مسقط رأسه "نفطة" و هو ابن 27 سنة و كان ذلك 1297هـ/1879م كما تولى قضاءها أيضا و ذلك سنة 1305م وكان ذلك بإلحاح و تكليف و حرص من السلطة، لما اشتهر به من علم غزير و خلق رفيع(23) فوقف لنصر المحقين و قهر المبطلين و إقامة الحدود الشرعية، ثم استعفي من القضاء بعد سنة واحدة أي عام 1306، و القوم متأسفون و في 1307 خرج قاصدا مدينة الجزائر و اتصل بالإمام المعمر الشيخ المحدث سيديعلي بن الحفاف مفتي المالكية بالجزائر، و في 1309 انتقل هو و أهله من نفطة إلى مدينة تونس و اشتغل بإلقاء الدروس تطوعا بالجامع الأعظم و غيره من المساجد، فابتهج الجميع لنشر العلوم و المعارف و اشتهر في غالب الأقطار بالعلم الواسع و الفضل الجامع. (24)و عند هجرته إلى دار الخلافة اقترح عليه الجماعة هناك نشر دروسه فتصدى لنشر العلوم بعزم ثابت و اقرأ ابن حجر على البخاري ، و المحلى إلى جمع الجوامع و صحيح مسلم و مقامات الحريري و الألفية و الجغرافية و الفلك و شرح المعلقات و السيرة النبوية و رسالة القيرواني في الفقه و بلوغ المرام، و شرح الإظهار و الكافيجي في النحو و غيرهم من علوم البلاغة و اللسان.

E- ISSN : 2571-9742
DM

وفي حدود 1324 أسست الدولة العثمانية الحميدية كلية عظيمة بالأستانة أطلق عليها اسم "دار الخير" فعين مجلس معارفها الشيخ مكي بن عزوز مدرسا خصيصا للحديث الشريف بها ثم بعد عام أو عامين أبدل اسم دار الخير بـ"دار الفنون"و بقي الأستاذ مستمرا على دروسه بها فضلا عما كان مشتغلا به من إلقاء دروس أخرى خارج الكلية.و في عام 1331هـ توفي أحد أساتذة الجامعة الكبار و هو العلامة الشيخ إسماعيل حقي(حفيد صاحب التفسير) و كان إسناد التفسير بها، فقلدت وزارة المعارف هذا المنصب للشيخ المكي بن عزوز مع إبقائه في منصبه الأول.وفي عام 1331هـ كذلك أسست الحكومة مدرسة دينية أطلقت عليها "مدرسة الواعظين" فعينت الشيخ مدرسا فيها أيضا، و كان رحمه الله يلقي دروسه في كلتا المدرستين باللسانين العربي و التركي مع اقتدار عظيم على ذلك.(25)

08/ أخلاقه وعاداته:

عرف الشيخ المكي بن عزوز بكرمه الذي يندر مثاله، مع عفة في اليد و الترفع عن الصغائر و محبة الناس، لم يعرف عنه أنه احتد أو تكلم بسوء بحق أحد، و كانت مجالسته أدبية علمية فقط لا يخالطها لغو أو نميمة.وكان من عاداته المحافظة على لباسه القومي حتّى في وجوده بالبلاد التركية، فكان يستورد من بعض أصدقائه بالجزائر وتونس كل ما يتعلق بأثاث البيت واللباس، وعرف بكرمه الذي يندر مثاله، مع عفّة في اليد والترفّع عن الصغائر ومحبة الناس.وكان رحمه الله سريع التأثّر إذا ما رأى ما ينافي نواميس الحياة والدّين أو ما يمسّ شرف العاملين عليها من غير تعصّب ولا مراء، ولم يعهد عليه أنه تكلّم مع أحد بكلام ساقط أو شاتمة، وكانت مجالسه حيّة بروح البحوث العلمية والأدبية، وكان مهاب الطلعة مع طلاقة الوجه والعفة والإباء والتّواضع والشّهامة، يقول عنه الشيخ عبد الرّحمن الجيلالي:

محاسنه جلت عن الحصر وازدهى بأوصافه نظم القصائد والنثــر

وكان له اتصال بطلبة الجريد التونسيين المجاورين في الأزهر بالقاهرة، ويمدّهم بالمساعدات المادية والأدبية، ويحثّهم على طلب العلم والمعرفة، وتميّزت طريقته في التدريس سواء في المساجد وحلقات العلم أو المجالس الخاصة بمخاطبة النّاس حسب مستوياتهم وكان يعطي كلّ فئة ما يناسبها، يقول الإمام محمد الخضر حسين في مقال له (زينة الإنسان حسن السّمت) " وكان أستاذنا الشيخ المكي بن عزوز يدرس لنا في جامع (القصر) بتونس شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهير في مدح النبي —صلى الله عليه وسلم– ومن جملتها أبيات غزلية، وكان الشيخ يشرح الأبيات الغزلية فدخل جماعة من العامة،

E- ISSN : 2571-9742
DM

وجلسوا بالحلقة، فخشي الشيخ أن ينكروا عليه شرح الأبيات الغزلية، فانتقل في الحال إلى حديث زاهر – رضي الله عنه– ودخول النبي – صلى الله عليه وسلم– السوق، وزاهر يبيع شيئا أمامه، والقصيدة بأبيات الغزلية مقطوعة السند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

هذا وعرف بتواضعه الشّديد رغم شهرته التي أطبقت الآفاق، وعلوّ كعبه في ميادين العلم والأدب، ومن ذلك ما ذكره محمد الخضر حسين لخاله وأستاذه المكي بن عزوز في الآستانة حيث قال: " زرت صحبة خالنا الأستاذ منزل الفاضل الشيخ السيد إبراهيم ظافر، فتلقّانا هذا الشّيخ وأخوه الفاضل السّيد حسن ظافر بمجاملة فطريّة وآداب مهذّبة، وعند أوّل اجتماعنا بالسيد حسن ظافر قال له حضرة الأستاذ على وجه التواضع والتنازل: هذا ابن أختي قرأ عليّ، ولكنه صار الآن أرقى رتبة، فقال له السيد حسن: نحن لا يمكننا أن نعتقد بأن يبلغ شأوك أحد فضلا أن يفوقك "، وهذه العبارة أشعرت الخضر حسين بأنّ العائلة الظّافريّة تقدّر مقام ابن عزوز حق قدره.(26)

09/ مواقفه من قضايا عصره:

نتيجة للمتغيرات والأحداث التي عاصرها الشيخ – رحمه الله– قدّر له أن يعيش حياة المجاهد بالعلم في سبيل الله والوطن ويلعب دور المصلح والمرشد ويوجه الناس ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم ويبعث في نفوسهم كلّ أسباب النّهوض والثورة، ويحرّضهم وينشر أفكاره المناهضة للاستعمار، مما عرضه لمضايقة سلطات الاحتلال التي أرغمته على الهجرة، مثلما فعلت من قبل مع والده، ضنّا منها أنها بإبعاده ستقضي على أفكاره ومواقفه في تونس والجزائر والمغرب العربي، ولم تكن تدري أنها بذلك منحته فرصة لتجنيد التأييد لقضية الجزائر والمغرب العربي، سيما التأييد العثماني والقيام بدور نضالي وسياسي على مستوى العالم العربي والإسلامي.

كما تعتبر بداية القرن العشرين – الفترة التي عاشها الشّيخ في المشرق– حلقة هامة في تاريخ اليقظة العربية من الجهة الدينية والسياسية، ومما لاشك فيه أن هذه الصّحوة الإسلامية لم تكن بمعزل عن مساهمة الجزائريين والمغاربة المثقفين في المشرق العربي، إذ لعبوا دورا فاعلا في انتعاشها، فالشيخ – رحمة الله عليه– لم يكن منطويا على نفسه منقطعا لعلمه لائكيّ المذهب، بل سخّر علمه في إصلاح شؤون النّاس السّياسيّة، وساهم في النهضة الثّقافية والأدبيّة في كلّ من الجزائر وتونس وأقطار من العالم العربي والإسلامي، يقول عنه الدكتور عمار هلال من جامعة الجزائر في كتابه (الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري، تطورها ورجالها): " ومحمد المكي بن عزوز (1854–1916م) وهو أديب، شاعر،

E- ISSN : 2571-9742
DM

قاض، عالم بالفقه والحديث له اشتغالات بالسياسة وآراء إصلاحية دينية واجتماعية وسياسية معتبرة ".وعلى هذا الأساس كان للشيخ مجموعة من الجهود والمواقف والآراء السياسية حول مجموعة من القضايا التي ميزت عصر.

❖ **موقفه من الاستعمار الفرنسي في الجزائر:**

المعلوم سابقا أن اسم العائلة (ابن عزوز) يحمل عند الاستعمار معنى الثورة والعداوة، فالجدّ محمد بن عزوز – رحمه الله– ترك ثمانية أولاد قد أدركوا الاحتلال الفرنسي، فجاهد أكبرهم مع الأمير عبد القادر، بل كان خليفة الأمير في جبال الجزائر الشرقية ومنطقة الزيبان، ولما فشلت حركة الأمير اعتصموا بجبال الأوراس، فقبضت سلطات الاحتلال الفرنسي على الحسن بن عزوز وأودعته السجن في مدينة عنابة، ومات هناك، وقيل أنه مات مسمومًا.

أما إخوته الآخرين كما ذكرنا سابقا، مصطفى –والد الشيخ المكي–، والتارزي وأبو العباس ومحمد فقد هاجروا إلى الجنوب التونسي واستقروا في مدينة نفطة، وصارت زاوية مصطفى بن عزوز الّتي أسّسها فيما بعد ملجأ للمجاهدين، ونتيجة لذلك فقد ورث المكي – رحمه الله– عن أسرته كره الاستعمار ومقاومة أعداء الدين والوطن، والثورة ضدّهم، وإن حبّ الانتقام له من العلوج البيض يتأجج من صدره وفي صدور العائلة كلها. وتجلّت مناهضته للاستعمار في الجزائر وفي تونس وحتّى في بلاد المهجر تركيا.فبعد استقراره بتونس، وذيوع شهرته الدينية والعلمية دأب على زيارة الجزائر كلّ عام، حيث يصل رحمه من أخواله، ومنهم جدّه لأمه الشيخ ابن عروس، وخاله الشيخ أبو القاسم الحفناوي، ويتصل ببني عمومته في برج بن عزوز وطولقة وبوسعادة، ويجتمع بكثير من العلماء والطلبة، وقد كانت زياراته تمتد إلى شهور عديدة، يقضيها في الوعظ والإرشاد، ورواية الحديث وسنده وإلقاء الدروس بالمعهد الهاملي.

فكان كثيرا ما ينبه الناس – في حلقات دروسه– إلى مظالم الاستعمار ويعظهم ويدعوهم إلى الأخذ بأسباب العمل والثورة للتحرر من الاستعمار، ويحثهم على الاستعداد للتخلص منه، ويثير في النفوس الغيرة الدينية والحمية الوطنية، ويؤجج فيها الثورة على سلطات الاحتلال فكان ينشر أفكاره المناهضة، ولم يكتف الشيخ – رحمه الله– بالدعوة للمقاومة العسكرية للمحتل بل حاربه اقتصاديا كذلك، عندما اصدر فتوى حرّم بموجبها شراء كل ما يرد من فرنسا من صناعات دهنية كالشّمع والشّحم والصّابون، وشكّك في كونها مصنوعة من مواد حلال. وشجّع –في المقابل– الجزائريين على الجهاد والسّعي الدائب

E- ISSN : 2571-9742
DM

لإنتاج احتياجاتهم محليّا، والاستغناء على العدو، وكان يرمي — من وراء ذلك– إلى دفعهم إلى مقاطعة الاستعمار اقتصاديا.

وهذا الموقف الذي وقفه محمد المكي بن عزوز من الاستعمار الفرنسي ليس موقفا غريبا، فقد ورث عن أسرته كما ذكرنا كبرياءها وشموخها وشجاعتها في مواجهة الباطل، وجرأتها على اقتحام الصعاب كما أخذ عنها بغضها وكرهها الشديد لوجوده في وطنها.وإضافة إلى ذلك فهو ينتمي إلى الطريقة الرّحمانية، الّتي كانت من أكثر الطرق الصوفية في الجزائر ثورة على الاستعمار، وقد كتبت صفحات مجيدة في ميدان الجهاد والتّضحية، وظلّت سنوات طويلة نارًا على العدوّ، ولم يتوان الإخوان الرّحمانيّون عن تقديم قوافل الشّهداء الواحدة تلو الأخرى، والّتي أقضّت مضاجع سلطات الاحتلال، ولم يستقر المقام لفرنسا في المناطق الّتي كانت تحت نفوذ الزّوايا الرّحمانية والعزوزية إلا بعد جهد جهيد في أواخر القرن التاسع عشر.ومن جانب آخر كان الشّيخ — رحمه الله– يدعم الثورة ضد الاحتلال الفرنسي بجميع الأموال وحشد الجموع، وفي ذلك يقول " أورلوند " وهو يتحدث عنه – كمقدّم للزاوية الرّحمانية –: " ثم تفرغ من سنة 1888م حتى 1896م، لجمع الزيارات وهي الهبات أو الموارد نقدا وعينا من زوايا الطريقة الرّحمانية بالجريد وشرق الجزائر، وقد كان أخوه الأكبر شيخها الأول في البلاد التونسية، ويضيف قائلا: "... فإنّ الأدلة المتوفرة جميعها تشير أنه كان على الأرجح معاديا للفرنسيين...".

ونتيجة لذلك كان الاستعمار الفرنسي يحيط زياراته بكثير من الحيطة والحذر، ويتتبع خطواته ويضيق عليه تنقلاته، وعندما أحس بازدياد خطره، وإقبال النّاس عليه، وتأثرهم بآرائه وكثرة طلبته والمعجبين به، سعى إلى اعتقاله، فنصب له كمينا في " زريبة الوادي " بضواحي بسكرة في الزّاب الشرقي في جنوب الأوراس وكلف القائد زروق بالقبض عليه، غير أن هذا الأخير أنذره بذلك وسهل له سبيل الهروب، فنجا من قبضة سلطات الاحتلال، وفرّ إلى تونس لكن الإدارة الاستعمارية ظلت تطارده في تونس أيضا، وتضيق عليه الخناق، مما اضطره إلى الهجرة. وفي هذا الشأن يقول الأستاذ الهادي السنوسي الزاهري: "... حالت أحوال واعترضت دون مكثه بالجزائر عوارض، فاضطر إلى مغادرتها وهو الشغوف بها ".

❖ **موقفه من فرض الحماية الفرنسية على تونس 1881م:**

E- ISSN : 2571-9742
DM

مع انطلاق الحملة الفرنسية على تونس بدت مقاومة التّونسيين لها متواضعة؛ فقد قام بها نفر من علماء جامع الزيتونة، التي كانت ممثلة في شخص علمائها وأبنائها وخرّيجيها في الصّفّ الأمامي على خطّ المواجهة مع العدوّ، إذ أجّج شعلة الجهاد ضد الفرنسيين فور احتلالهم تونس عام 1881م مشايخ من أهل العلم والفضل والدين، وعلى رأسهم الجزائري الشيخ محمد السنوسي، الذي قدّم عريضة وقعها أعيان البلاد يطالب فيها بإلغاء الحكم المباشر، وقد ضمّت العريضة قائمة بأسماء أعيان البلاد (57 شخصية)، ثلثهم ذوي أصول جزائرية مثل: محمد السنوسي، المختار فتّاش، محمود القروي، الباجي القسنطيني، حسن العتابي..، وغيرهم.

فكان بذلك جامع الزيتونة منهل العلوم والمعارف ومعقل العروبة وحامل أمجاد الإسلام الطّارف منها والتّليد، في مقدمة المواجهة، فغرس في نفوس طلابه هذه الرّوح الأبيّة، واصطبغ خرّيجوه بصبغة الولاء لمجد العروبة والإسلام، فكانوا هم المشاعل النيّرة التي أضاءت طريق الجهاد ضد المستعمر الفرنسي البغيض، ومنهم شيخنا طبعا، إذ لم تمرّ سنتان على إخماد حركة الأعيان سنة 1885م حتّى ظهرت دعوة إصلاحية جادّة تزعّمها الشيخ محمد المكي بن عزوز، حثّ فيها على العودة إلى مقاومة الجمود والتخلّف...، وقد اشترك الشّيخ في إصلاحات خير الدين باشا على عهد محمد الصادق باي، فكان يشغل منصب خطة الفِتيا بنفطة...، وعندما كان غائبا عن تونس عند حدوث النازلة، بعث بقصيدة شعرية يشدّ فيها أزر السنوسي في منفاه في غيرة وطنيّة ثابتة)... وقد زاد اطّلاعه على ظنك وضرّ المسلمين بالجزائر وتونس تمسّكا بمبدأ الإصلاح وأثّر به في طلبة الزّيتونة وشيوخها، ممّا أدّى بعد ذلك إلى تأسيس مدارس عصريّة كالخلدونية، والصّادقية، ... وغيرها. هذا وحمل راية الجهاد الشّيخ محمد المكي بن عزوز الذي كان من مشايخ الزّيتونة الثّوريين، بعد نفي الشيخ محمد السنوسي، فكان مصيره هو الآخر الإبعاد.

ولنا شهادات على أنّ حلقات الشّيخ – رحمه الله– في الزّيتونة كانت لا تخلوا من التّحريض ومن ذلك ما ذكره عبد العزيز الثعالبيالذي قال: " أنّ دروسه كانت كلّها وطنيّة، فقد كان يبعث في الذين يتلقون دروسه فكرة مقاومة المحتل، وروح التّضحية، ومبدأ الإخلاص في العمل والثّبات عليه. وقد تلقيت عليه –رحمه الله– أول درس في الوطنية وأحسنها، الأمر الّذي استفدت منه في عملي الوطني فيما بعد، ولم أنسه ما حييت...".

E- ISSN : 2571-9742
DM

وفي تعليق للأستاذ محمد الصّادق بسّيس على كتاب " النازية التونسية " للشيخ محمد بن عثمان السنوسي عن العلامة ابن عزوز: " أن الشيخ عبد العزيز الثعالبي يعدّه من شيوخه بالزّيتونة الّذين تأثّر بفكرتهم الحرّة، ونزعتهم الإصلاحيّة، وغيرتهم الوطنيّة "

وذكر علال الفاسي أن من الجزائريين في تونس مجموعة تولّت مناصب قيادية في الحركة الوطنية التونسية، منهم محمد السنوسي محرر (الرائد التونسي) الذي اعتبره الناس " زعيم أول حركة وطنية " بعد الحماية، وكان السنوسي من علماء الزيتونة، ومنهم المكي بن عزوز الذي تزعم حركة سلفية، وكان أيضا من علماء الزيتونة، ويضيف ذات المصدر أن الفضل يرجع إلى المكي بن عزوز في تكوين عبد العزيز الثعالبي زعيم الحزب الدستوري، وبعد هجرة ابن عزوز إلى المشرق اجتمع تلاميذه المتنورون وأسّسوا جريدة (المستقبل التونسي) بالفرنسية، و(حبيب الأمة)، و(سبيل الرشاد) بالعربية. التي كان من إنشاءات الثعالبي.إنّ تلك الجهود التي بذلها الشيخ المكي – رحمة الله عليه– في مناهضة الاحتلال جعلته يعيش تحت مراقبة مستمرة من قبل أجهزة الأمن الفرنسي، كما تشير إلى ذلك تقارير.

وهذا ما جعله يعيش في مضايقات كثيرة في الجزائر وفي تونس وكثرت عليه العيون التي ترصد تحركاته، فكان ذلك سببا في هجرته من تونس إلى الآستانة، وقد أشارت إلى ذلك مذكرات مصالح الاستخبارات الفرنسية إذ تنص على أن هجرته كانت على اثر فتح تحقيق قضائي ضده، وأنه كان قبل ذلك موضع تهمته سياسية خطيرة – ولعلها فتواه في تحريم المواد الدسمة والدعوى إلى مقاطعة فرنسا اقتصاديا – وجهت إليه من قبل الحكومة العامة بالجزائر.

وقد أحالت المطاردة الاستعمارية في بلاد المغرب حياة محمد المكي بن عزوز إلى جحيم لا يطاق، فلم يعد يشعر بالأمان في بلاد يبسط عليها المحتل سيطرته، ويبث فيها الجواسيس والعيون في كل مكان، لتترصد خطواته ففضل الهجرة، وشد الرحال نحو المشرق، وكان أول منزل نزله بنغازي بليبيا، التي أقام بها مدة، ثم استأنف رحلته، فزار مصر والحجاز والشام، واجتمع بكثير من العلماء الأعلاموأفاد واستفاد، وفي عام1896م حطّ الرّحال أخيرًا بالآستانة، الّتي سبقته إليها شهرته. وفي ترجمته في جريدة الشهاب بقلم الشيخ عبد الرّحمن الجيلالي ذكر أن الشيخ – رحمه الله– في سنة 1895م، ارتحل إلى طرابلس الغرب فمكث فيها شهرين انتفع في أثنائها أهلها به وبعلومه، ثمّ امتطى متن الباخرة إلى بن غازي فمكث فيها نحو شهرين، ثم توجه إلى جزيرة " كريت "، ونزل ضيفا مكرما على قاضيها الشيخ البغدادي، ثم توجّه نحو " أزمير " فمكث فيها شهرين ثمّ توجّه إلى الآستانة، فلقيه في

E- ISSN : 2571-9742
DM

مرساها نخبة من الأفاضل الأعيان كمحي الدّين باشا بن الأمير عبد القادر والشيخ محمد ظافر والشيخ عبد الرحمن الجزولي والشريف عبد الإله باشا وغيرهم، فنزل ضيفا معظما مبجلا مكرما يتداولون ضيافته الواحد بعد الواحد بكل حفاوة وإكرام

❖ **عمله السياسي في المهجر ومواقفه:**

- **عمله السياسي في المهجر:**

كان الشيخ المكي بن عزوز من الشخصيات ذات الأصول الجزائرية التي حلّت باستانبول، والظاهر أن هجرته إلى المشرق وبالتحديد إلى عاصمة العثمانيين السياسية كان الهدف منها تجنيد التأييد العثماني لقضية الجزائر والمغرب العربي عموما، وليس كما يتصوّر البعض، أنها كانت للفرار بدينه إلى أرض الإسلام هروبا من العدو على غرار ما يفعله الكثير من المهاجرين.

وأثناء إقامته في استانبول، انتقل إلى الحجاز للتدريس في الجامعة الإسلامية بها، وأسس بالمدينة المنورة " جمعية الشرفاء " سنة 1913م، وهي جمعية إسلامية (**Panislamiste**)، كانت تعمل على خدمة مبادئ الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)، وضمت في صفوفها مجموعة من الجزائريين والتونسيين والمراكشيين، واتهمتها الإدارة الفرنسية بأنها كانت تعمل على إثارة الجنوب الجزائري ضدّها، وقد عقدت اجتماعا لها في القاهرة، ومن الجزائريين الذين حضروا هذا الاجتماع السيد الأخضر (؟)، الذي قيل أنه كان قائدا سابقا لتلمسان، والسيد محمد بن زاوي جلول، وهو من قسنطينة، لكن فعالية هذه الجمعية، غير واضحة وربما وجدت محاربة قوية من القنصليات الفرنسية في المشرق العربي.

وبالنظر إلى تاريخ تأسيس هذه الجمعية، تجدر الإشارة إلى أن الشيخين حمدان الونيسي و البشير الإبراهيمي كانا بالمدينة المنورة عندئذ، كما أن الشيخ الطيب العقبي كان مهاجرا فيها منذ صغره، وكان ابن باديس قد زار المدينة، ورجع منها إلى الجزائر في هذه السنة (1913م)، فهل كان الشيخ المكي بن عزوز على صلة بجميع هؤلاء؟ وهل شملت جمعيته بعضهم؟ ولا نعلم فيما التقى المكي بن عزوز – رحمه الله– بهؤلاء الأعلام أو هل كانت بينهم اتصالات أو مراسلات..، ولقلّة مصادرنا لا نملك أي معطيات حول الموضوع، وأيضا عن العضوين الأخضر و محمد بن زاوي.

E- ISSN : 2571-9742
DM

وفيما يخص الجمعية يروى أنها قامت بحملة دعائية مناهضة للفرنسيين بتونس وبالجزائر، وقد اشتبه في الشيخ ابن عزوز نفسه بأنه يقوم بزيارات سرية إلى صهره الشيخ مصطفى بوخريص في تونس وإلى ابنه الكامل بن عزوز الشيخ الأكبر للطريقة الرّحمانية في سوق اهراس.

وخلال أحد اجتماعاتها، تقرر إرسال مبعوثين إلى الجزائر والمغرب الأقصى بغية تحقيق أهداف الجمعيةولا ندر، لقلّه مصادرنا مصير هذه الجمعية ولا عن استمرار نشاطها أو ما آلت إليه ؟ ولكن يبدوا أنها كانت تسعى لأهداف مشتركة واحدة، وهي الرّعاية والعمل لتحرير المغرب العربي ومناهضة الاستعمار، وخدمة الخلافة الإسلامية، ومساعدة المهاجرين المغاربة، وكانت الجمعية كغيرهامقربة من جماعة " الاتحاد الشرقي " ولسانهم جريدة " الشباب التركي " وما يمكن استنتاجه هنا أن الشيخ المكي بن عزوز كان متأثرا بالحركة الإصلاحية، ومن المؤمنين بفكرة الجامعة الإسلامية، فكان الشيخ وغيره من المغاربة في المهجر يعملون على إعداد حملات تحرّرية ضدّ الاحتلال الايطالي والفرنسي في المغرب العربي، وكان يتحرك بكثرة بين الحواضر وله اتصالات سرّيّة منظّمة وأنصاره كثيرون، كما كانت له صلة وثيقة بزعماء العالم الإسلامي مثل الشيخ حسن ظافر،.. وعلى اتصال دائم بالسلطان العثماني، لكن قلة المصادر في هذا الموضوع حالت دون التعرف أكثر على النشاط السياسي للشيخ خاصة أمام التطورات والأحداث الخطيرة التي شهدتها منطقة المغرب العربي والعالم بأسره، كأحداث مقبرة الجلاز (أو الزلاج) في 1911م في تونس ونفي الزّعماء الشبان، واحتلال ايطاليا لليبيا إلى التّدخّل الفرنسي بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء (جانفي– جويلة 1906م) واحتلاله لوجدة (مارس 1907) والدّار البيضاء (أوت 1907م) إلى الاستيلاء على المغرب الأقصى وفرض الحماية عليه سنة 1912م، كلّ ذلك للأسف لم نتمكن من معالجته، ونتمنى أن يأت من يبحث أكثر في هذه المسألة، ويعثر على وثائق تفيد الموضوع.

هذا وتشير بعض المذكرات الفرنسية إلى أن السفير الفرنسي باستانبول حاول في مناسبات عديدة ربط علاقات مع الشيخ المكي بن عزوز مستعينا ببعض القناصل الفرنسية في الجزائر وتونس، ولكن الشيخ كان دائم الرّفض لدعواتهم، وإنّ مثل هذا الاهتمام البالغ من فرنسا بشأن الشّيخ لدليل واضح على تخوفها الشديد من نشاطه وجهاده المتواصل ضدها.

ويعتبر المكّي بذلك من مجموعة المغاربة " الخطرين النشطين " –بحسب السلطات الفرنسية– فقد كان وراء انتفاضة منطقة الشرق الجزائري التي شملت منطقة الأوراس وبسكرة، والتي عزاها الكتاب

E- ISSN : 2571-9742
DM

الفرنسيون إلى أسباب اقتصادية واجتماعية مختلفة، في حين أنّ انتفاضة الأوراس التي انطلقت من عين التوتة، وقادها الحاج أحمد الاوذيني، الذي كانت السلطات الفرنسية اختارته قائدا عل المنطقة لمكانته، هذا الأخير كان قد أدى فريضة الحج سنة 1908م، ومرّ أثناءها باستانبول لزيارة الشيخ المكي بن عزوز الذي درس عليه في نفطة من بلاد الجريد التونسي، وقد أوصى الشيخ تلميذه الاوذيني ناصحا ومرشدًا: " .. إن الحرب ستندلع قريبا بين فرنسا وألمانيا وعليكم انتهاز هذه الفرصة(...) ولتكن انطلاقة الثورة من جبال الأطلس الوعرة، ولتمتد من شرق البلاد إلى غربها " وحفظ الاوذيني الوصيّة، ولّما عاد إلى الجزائر عمل بها، إذ حضّر للثّورة، وهاجم القوات الفرنسية بعين التوتة (باتنة) في عام 1916م.لا شكّ أن ما ناله الشيخ من حظوة عظيمة لدى الدولة العثمانية قد يسّر له أداء نشاطاته السياسية والإصلاحية خدمة لمبادئ الجامعة الإسلامية ودعما للقضية المغاربية، وخاصة الجزائر.

- **موقفه من (جمعية الاتحاد والتّرقي) التركية:**

إنّ المدة التي قضاها الشيخ المكي بن عزوز في تركيا، شهدت تغيرات سياسية ذات أهمية كبرى والتي تمثلت – كما ذكرنا – في تغيّر نظام الحكم من نظام حكم الفرد – الذي كان آخر أفراده السلطان عبد الحمـيد – إلى النّظام الدّستوري الذي سعت إليه جمعية (الاتّحاد والترقّي).وكغيره من رجال الفكر والأدب والسياسة، فقد أحسن الشّيخ – رحمه الله– الظنّ بحركة الاتّحاديين في بدوّ أمرها، وأمّل فيها خيرًا خاصة وأن هذه الجماعة كانت واعية إلى التحرر، مطالبة بتغيير النظام كما اشرنا إلى ذلك في الفصل السابق، وقد أشار إلى ذلك فقال: " لّما من الله تعالى على البلاد العثمانية بالإطلاق من قيد الاستبداد وتضييق العلوم، تنفست صدور الأمة، واتحدوا في سبيل الترقي بعلوّ الهمّة "، وهذا يدعونا إلى القول أن الشيخ المكي بن عزوز كان رافضا لسياسة الاستبداد التي انتهجها السلطان عبد الحميد الثاني، وكان داعيا إلى التحرّر، غير أن هذه الحركة تكشفت عن أسوأ كارثة حاقت بالعالم الإسلامي، ألا وهي هدم الخلافة، وترسيخ الحياة العلمانية.

لكن يبدوا أنّ الشيخ تراجع عن موقفه الدّاعم والمؤيد لهذه الجمعية، بعد أن اتضحت له حقيقتها، رغم أنّنا لم نعثر على أيّ من المعطيات حول هذا الموضوع، وفي ذات الشأن نتأسّف عن عدم عثورنا على المزيد من الوثائق والتقارير والمستندات التي توضّح أكثر صورة العمل الوطني والسياسي للشيخ الذي اقترن بعمله الفكري والتّربوي، وكذلك عن علاقاته بأقطاب الإصلاح في العالم الإسلامي كجمال الدين الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده وشكيب أرسلان ومحمد باش حامبه وأخيه علي باش حامبه وغيرهم...، خاصة

E- ISSN : 2571-9742
DM

إذا علمنا أن فترة تواجد الشيخ في استانبول، قصد فيها العديد من زعماء العالم العربي والإسلامي الخلافة العثمانية وعملوا في إطار " الجامعة الإسلامية ". وإنّي إذ آمل أن أجد فرصة للبحث أكثر في هذه النّاحية بالذّات ، بالإضافة إلى مخطوطاته التي لم تزل مفقودة، وهي دعوة لأهل الاختصاص للبحث في ذات الشأن (27). فالشيخ – رحمه الله– وأثناء العشرين سنة تقريبا التي عاشها في مقر الخلافة الإسلامية (1895–1916م) لم يكتف بنشاطه العلمي، بل ظلّ يطوف الأقطار العربية والإسلامية كالحجاز وسوريا وفلسطين ولبنان، يتعرّف على علمائها ويبذل العلم لطلاّبها، ولعل اختياره للآستانة يعود إلى إيمانه بفكرة الجامعة الإسلامية، الّتي دعا إليها جمالي الّدين الأفغاني في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، وكانت دار الخلافة تشجعها لتحفظ بها كيان البلاد الإسلامية من المؤامرات الاستعمارية المتربّصة بها، حيث كان من أنشط العاملين في مجال الدّعوة للجامعة الإسلامية.

قال عنه العلامة المسند محمد عبد الحي الكتاني: " ... وأعجب ماكان فيه الهيام بالأثر والدعاء إلى السنة مع كونه كان شيخ طريقة ومن المطلعين على الأفكار العصرية، وهذه نادرة النوادر في زماننا هذا الذي كثر فيه الإفراط والتفريط وقل من يسلك فيه طريق الوسطوالأخذ من كل شيء بأحسنه (28)، عملا بقوله تعالى: (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها)

ويقولالإمام محمد الخضر حسين في مقال له (كيف تستنبط القواعد من الكتاب و السنة): (... و كان خالنا و أستاذنا الشيخ المكي بن عزوز قد سافر إلىالأستانة و تولى دراسة الحديث بدار الفنون، و أذيع عنه في تونس بأنه صار يقول بفتح باب الاجتهاد، و لما التقيته بالأستانة، ذكر بعض الحاضرين له هذه المسألة، فقال ((إنّي مالكي في المسائل الاجتهادية، أما إذا ورد حديث صحيح فأعمل به و لو خالف المذهب))، وكلام الأستاذ يوافق قول ابن قيم الجوزية الذي قال :"إنّ الحديث إذا صح عن الرسول صلى الله عليه و سلم، و لم يصح عنه عليه السلام حديث آخر ينسخه فالفرض علينا و على الأمة الأخذ بحديثه، و ترك كل ما خالفه و لانتركه لخلاف أحد من الناس كائنا من كان.(29)

10/ مرضه و وفاته:

استمر الشيخ في دروسه غلى طريقته الحسنة إلىأن أصابه في سنة 1333 مرض أعيا الأطباء علاجه، و كأن الله شاء أن يكون موت الشيخ عظيما فرماه بالفالج مثلما رمى قبله ابن دريد و الجاحظ و ابن عبد ربه و اليازجي و لازمه مدة أربع أشهر من شوال إلى

E- ISSN : 2571-9742
DM

صفر من عام 1334 فوافاه الأجل المحتوم عند غروب الشمس من يوم الخميس ثاني صفر 1334، و دفن من الغد بمقبرة يحيى أفندي الكائنة بحومة "أورته كوي"، و صلى عليه الشيخ عبد الرحمن التقادي و حضر جنازته كبار رجال الدولة بصفة رسمية و عظماء الأمة و العلم (31)، وعدد كبير من طلبته ومريديه،فكان فقده عظيما في قلوب سائر الناس و خصوصا أصحاب العقول السليمة و الأرواح النقية فقاموا لتأبينه و رثائه بنظم القصائد الطوال و ذكر محاسنه بالغدو و الآصال،(30) وقد اخترنا في هذا المقام قصيدتين بليغتين لوجهين من أوجه العلم والصلاح:

ــ القصيدة الأولى هي " مرثية الشيخ الطيب العقبي للمكي بن عزوز " (31)، وكانت هذه القصيدة أول مرثية له حيث ذكر أنه لم يرث أحدا قبله، وأنها تعبير عن عمق الصداقة التي تربط بينهما (...وكان ممن يعز علي كثيرا لما بيني وبينه من المؤانسة وعظيم الوداد ..)،وقد أحببت أن أورد القصيدة كاملة تسلية للنّفس بالمصاب، وإعانة لها على الصّبر والاحتساب، ولما حوته من صادق المشاعر، وصافي الغرائز، مع إخلاص الأخوة وحفظ للمودّة، عسى الله أن يعيننا على التأسي بالقوم.
قال الشيخ الطيب العقبي رحمه الله في رثائه للعلامة المكي بن عزوز:

هي الدّار في أحداثها تترجّم ⁂ سرور، فأحزان! فعرس فمأتم
حنانيك! إنا للمنيّة عرضة ⁂ وكل ابن أنثى فهو للموت مسلم

حتى يقول:

أمات ابن عزّوز وأودت علومه ⁂ أم الرّكن ركن الدّين أمسى يهدم؟
بلى إنّها الأقدار وافت برزئـــــه ⁂ وما كان ظنيّ أن يدكّ يلملـــم

ثمّ يقول:

محمد يا المكّي مالك راحل ⁂ أزهدا بنا أم في سبيلك مغنم
إلى الله أشكو ما لفقدك مسّني ⁂ من البؤس والضراء و القلب يكلم

إلى أن يقول:

عيك سلام الله حيّا وميتا ⁂ فآخر عهدي أنّني بك مغرم.

E- ISSN : 2571-9742
DM

ـ القصيدة الثانية وعنوانها: " ها هنا شمس علوم " لابن أخته الشيخ العلامة محمد الخضر حسين، الذي لما توفي خاله الشيخ المكي بن عزوز لم يحضر جنازته لغيابه في ألمانيا، و بعد شهرين من وفاته وقف على قبره ورثاه بقصيدة قال في مطلعها: (32)

رب شمس طلعت في مغرب*** و توارى في ثرى الشرق سناها

هاهنـــــا شمس علــوم غربت *** بعد أن أبلت(بترشيش) ضحاها

بفؤادي لوعـــــة من فقـــدها *** كلما أذكـــره اشتد لظـــــاها

حتى يقول:

أيّها الرّاحل قد روعتنـــــــا *** بفراق حرم العيـــــن كراهـــا

لك نفس سرحت همتـــها *** في مراعي العلم من عهد صباها

ثم يقول:

صغت بالتدريس أطواقا شبا*** درها بالجامع السامي فتاها

أينما كنت تداعت أمم ***تتملى روضة يحلو جناها

إلى أن يقول في الأخير:

عرج الناعي على أندية ***كنتإن وافيتها قطب رحاها

ودرت(دار الفنون) النعي من *** صبحها الطالع في لون دجاها

طب مقاما يا (ابن عزوز) فقد *** كنت تعطي دعوة الحق مناها

11/ شهادات الشيوخ و العلماء على علمه و خلقه:

لإبراز مكانة الشيخ المكي بن عزوز العلمية في أوساط العالم الإسلامي و شهرته التي أطبقتالأفاق، نسوق بعض الشهادات في حقه، صدرت من معاصريه من علماء المشرق و المغرب ، فالقاضي شعيب حين بعث إليه برسالة يستجيزه فيها افتتحها قائلا: ((المولى الذي يعتقد قلبي محبته، و تود عيني رؤيته، تاج رؤوس الأقران، و بديع عصر الأوان، العلامة الداركة سيدي محمد المكي بن عزوز...)).(33)

ـ وحلاه شيخ الإسلام بمكة الشهاب دحلان في إجازته له بقوله: ((قد اشتهر في الأقطار بلا شك و لا مين، ولا سما في الحرمين الشريفين، بالعلم و الحلم نخبة العلماء الأعيان، و خلاصة الأعيان من ذوي العرفان، سراج افريقية بل بدرتلك الأصقاع الغربية، الأستاذ الكامل، جامع ما تفرق من الفضائل و

E- ISSN : 2571-9742
DM

الفواصل، و قد اعتبر الكتاني هذه الحلاة نادرة من مثل الشيخ دحلان و يعلم ذلك من تتبع حلاه في إجازاته انه لأهل المشرق و المغرب و هي كثيرة كما قال.(34)

ـ ويقول فيه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: "... من أطوادالأمة و مصابيح الدين، جمع الله فيه ما تفرق في غيره من العلوم و الفنون، و برع بالخصوص في التفسير و الحديث و الأصول وفي علم الكلام و القراءات و الرياضيات... و برع في فن النظم و النثر فأنشأ القصائد و حبر الرسائل في مختلف الأغراض و المقاصد".(35)

ـ وقال فيه الشيخ الفاضل بن عاشور:((كان منهلا موروداً امتازت دروسه بكثرة الإقبال و غزارة المادة و فصاحة القول و علو الأسلوب و جاذبيه، فكان المترددون لدروسه من عامة المستفيدين من غير الطلبة لا يقلون أحيانا عن عدد الطلبة الكثير المتزايد ...على أنه لم يتقلد منصبا رسميا من مناصب التدريس، و كانت مراميه القومية و العلمية و الإصلاحية مرامي سديدة رشيدة، فكان ذلك مجابهة لما حفه من المحبة و الوقار. بين علوم أهل الحاضرة، و لاسيما الطبقات الحية منهم.(36)

وقرظه عالم الطائف العلامة عبد الحفيظ القارئ أثناء سؤال قدمه له، بأبيات شعرية، ذكر فيها مكانته العلمية المرموقة وتضلعه في علوم الشريعة ووصفه بعلامة العرب والروم، الأستاذ الكامل جامع الفضائل، مقدم العلماء، وقال فيه:

من نرتجي للدين يكشف غمه — عمت على الإسلامبالإغماء
غير ابن عزوز إماما للهدى — بالحق يفتي لا بأخذ رشاء
من مغرب في مشرق يبدي — ألسنا في المطلعين له ضياء كذكاء
إن كان فينا قائم فهو الذي — بالعلم يرقى ذروة الجزاء(37)

ـ أما صديقه عبد الحي الكتاني فقد حلاه قائلا: ((هذا الرجل كان مسند افريقية و نادرتها لم نر و لم نسمع فيها بأكثر منه اعتناءامنه بالرواية و الإسناد و الإتقان و المعرفة، و مزيد تبحر في بقية العلوم و الاطلاع على الخبايا و الغرائب من الفنون و الكتب و الرحلة الواسعة و كثرة الشيوخ إلي طيب منبت و كريم أرومة، وأعجب ما كان في الهيام بالأثر و الدعاء إلى السنة مع كونه كان شيخ طريقة و من المطلعين على الأفكار العصرية و هذه نادرة النوادر في زماننا هذا الذي كثر فيه الإفراط و التفريط)). (38)

ـ و جاء عنه في شجرة النور الزكية للزركلي: "إمام نشرت ألوية فضله على الأفاق، و فاضل ظهرت براعة علومه فتحلى بها الفضلاء الحذاق، له عناية بالأسانيد و الرواية و اليد الطولى في العلومالعقلية و

E- ISSN : 2571-9742
DM

النقلية و الراحة البيضاء في تعاطي أنواع العلوم الرياضية الرحالة الأديب الشاعر اللغوي الأريب الماهر العارف بأنساب العرب و أخبارها و النوادر، أما التصوف فقد رزق فيه الذوق الغريب و الحذق العجيب، كان عالي الهمة كريم الأخلاق".(39) و يذكر كذلك محمد علي دبوز في كتابه "نهضة الجزائر و ثورتها المباركة" إذ يقول: ((... هذا العالم الجليل لم يتزعم النهضة في الجزائر و لكنه كان السحاب المبارك الذي يخيم على المكان ساعة فيملؤه بمائه و حياته...)). (40) بينما تحدث عنه العلامة بن باديس (1889ـ1940م)، ونوه بعلمه وجهاده هو وابن أخته محمد الخضر حسين في محاربة البدع الطرقية وانحرافاتها، فقال: " ولايخفى أن الأستاذ أبقاه الله ابن أخت العلامة الجليل الشيخ المكي بن عزوز رحمه الله، وكلاهما من أبناء الطرقية، ولكن العلم سما بهما إلى بقاع التفكير والهداية والإصلاح، ولكليهما ـ أحسن الله جزاءهما ـ كتابات في التحذير مما عليه الطرقية اليوم ـ تارة بالتصريح وتارة بالتلميح "، وقال عنه كذلكفي اعتراف منه بمكانة الشيخ المكي بن عزوز العلمية قائلا: ((... ومن أثار علمائنا المصلحين في هذا العصر الحديث العلامة الأستاذ الشيخ المكي بن عزوز..). (41)

12/ آثار الشيخ محمد المكي بن عزوز ومنزلته العلمية:

للشيخ المكي بن عزوز تآليف عديدة ورسائل وفتاوى مفيدة في الفقه والتوحيد والتفسير والقراءات والتصوف والأدب وفي علم الهيئة وغير ذلك، طبع الكثير منها في حياة الشيخ مما يشهد له بسعة العلم و بعد النظر في التحرير و التحقيق العلمي، لاسيما في الأسانيد و الآثار التي قلّ الاعتناء بها في وقته (42)، وهو من أكثر المؤلفين التونسيين تأليفا في القديم والحديث، ولا يقاربه في كثرة الإنتاج من المعاصرين إلا الشيخ محمد المرزوقي، وذكر له الأستاذ محمد محفوظ 86 مؤلفا،(43)

ومن أشهرها المطبوع والمخطوط نذكر:(44)

- ✓ **العقيدة الإسلامية**:طبعت بالأستانة، و قررت وزارة المعارف تدريسها في سائر المكاتب السلطانية.
- ✓ **هيئةالناسك في أن القبض في الصلاة هو المذهبالإمام مالك**: طبع ونشر سنة 1327هـ في حياة المؤلف و أحدث ضجة كبيرة عند أصحاب التعصب و التقليد من أهل المذهب المالكي الذين يرون أن السدل في الصلاة هو مذهب الإمام مالك –رحمه الله– و لم ينكر أحد منهم نسبة الكتاب الى المؤلف و هو عبارة عن رسالة صغيرة، و الكتاب لم يخلو من فوائد علمية أخرى تتعلق بعلم الأصول و المناظرات و

غيرها، و قد ابتدأه بمقدمة رائعة و موعظة مؤثرة في وجوب بيان الحق و تحريم كتمانه، ثم قسمه الى عشرة أبواب...

- ✓ **الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية**، طبعت بمصر.
- ✓ **الجوهرالمرتب في العمل بالربع المجيب**: طبع بتونس 1298هـ و هي منظومة تقع في نحو مائتي بيت في موضوع الفلك.
- ✓ **الصفح السعيد في اختصار الأسانيد** و هي منظومة.
- ✓ **الثبت الجامع**: و هو ثبت جامع لأسانيده في كل فن.
- ✓ **عمدة الإثبات في الاتصال بالفهارس و الإثبات**: كتبها سنة 1330هـ/1911م و لعلها آخر ما ألف و قد علق عليها عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس و قال أنها أفيد و أوسع ما كتب في هذه الصناعة و أن الشيخ المكي بن عزوز قد ألفها باسمه و هي في نحو خمس كراريس، و يضيف الكتاني قائلا: انه لما وجهإليه العمدة المذكورة أصحبها بكتاب قال فيه: ((هذه عمدة الإثبات أتتكم في خجل و استحياء، فأخبرونا بقبولها و نظرها بعين الرضا و أنجزوا لي وعدكم بالإجازة.(46)
- ✓ **التقرار المهذب في حل تراجم الجوهر المرتب**: طبع بتونس 1302هـ.
- ✓ **السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجلالي**: طبع بتونس سنة 1310هـ/1892م و هو يقع في 186 صفحة منها 70 صفحة في التقاريض أي ثلث الكتاب تقريبا، وواضح من عنوان الكتاب أنه في الرد على المنتقدين لطريقة الشيخ عبد القادر الجيلالي.
- ✓ **الأجوبة المكية عن لأسئلة الحجازية**: منظومة همزية تتكون من 131 بيتا تتعلق بكيفية تلاوة القران الكريم طبعت سنة 1322هـ بالمطبعة الحميدية بمصر.
- ✓ **الاحتواء في جواب من سأل عن الاستواء**: رسالة أجاب بها قاضي تونس الشيخ إسماعيل الصفايحي.
- ✓ **الأربعون المكية**: هي أربعون حديثا نبويا اختارهما من صحيح البخاري
- ✓ **إنارة الحوالك في أن الرفع في الصلاة هو مذهب الإمام مالك**.
- ✓ **برنامج دول الإسلام**: أغفله الحسيني و استدركناه من إيضاح المكنون البغدادي 115/1 مطبعة دار الفكر بلبنان.

E- ISSN : 2571-9742
DM

✓ **بطاقة العقائد**: منظومة تتكون من 15 بيتا نشرها الحسيني في كتابه عن حياة المكي و أثاره ص162-163.- بالإضافة إلى العديد من المؤلفات الأخرى التي لا يتسع المقام لذكرها كلّها.

في ختام هذه الدراسة ومن خلال تتبعي لنشأة الشيخ محمد المكي بن عزوز ومسيرته العلمية والنضالية في أنحاء من المغرب العربي والعالم الإسلامي، تمكنّا من إدراك المنطلقات الأولى التي بدأ بها مترجمنا مسيرته الغنيّة بالأحداث والانجازات المتنوعة،وعموما وانطلاقا ممّا سبق، أذكر فيما يلي أبرز النّتائج التي توصلت إليها، وهي على النّحو التالي:

✓ أنّ الشّيخ محمد المكي بن عزوز استفاد من ظروف بيئية وأسريّة متميّزة، ومغذّيات فكريّة وتربوية وأخلاقيّة متنوعة، لعبت الدّور الكبير في تكوين شخصيته وصناعة مستقبله، العلمي والسّياسي على حدّ سواء.

✓ تمكّن الشيخ في العديد من الفنون والعلوم يعود في الأساس إلى كثرة الشّيوخ والعلماء الّذين تلقّى عليهم –رحمه الله– مع تنوع مشاربهم.

✓ تقلّد الشيخ مناصب عليا وتولّيه خطّة الإفتاء في سنّ مبكّرة يؤكّد مكانته العلميّة بين أعلام عصره.

✓ كان الشّيخ وطنيّا غيورا على وطنه ودينه، ويظهر ذلك من خلال عمله الوطني المستمرّ ومناهضته للاستعمار ودعوته للتّحرّر، ويشهد على ذلك فتواه التي دعا فيها إلى مقاطعة المنتجات التي ترد من بلاد الاحتلال، وكذلك عمله في المهجر وتأسيسه لجمعية الشّرفاء، التي لعبت دورا هامّا ومميّزا في إطار الجامعة الإسلاميّة.

✓ يعتبر الشيخ بن عزوز من أقطاب الإصلاح البارزين في الجزائر وتونس، والعالم العربي والإسلامي، حيث بدأ مشواره في مجال التربية والتعليم عبر المساجد والزوايا، ثمّ الوعظ والإرشاد في المدارس العليا، وبثّ روح النّضال والكفاح واتّسع نشاطه في بلاد المشرق ومركز الخلافة الإسلاميّة في المعاهد الكبرى مثل دار الفنون ومدرسة الواعظين والمسجد النّبوي..، وغيرها.

✓ أسهم الشيخ –رحمة الله عليه– في صناعة جيل قادر على تحمّل المسؤوليّة، والذي سيقود الحركة الإصلاحيّة، وذلك بفضل الباقة التي أخذت من منابع العلم الصحيح

✓ أمثال العلامة محمد الخضر حسين –ابن أخت مترجمنا– الذي تولّى مشيخة الأزهر الشريف، وعبد العزيز الثعالبي، رمز المقاومة الوطنية التونسية،... وغيرهم.

E- ISSN : 2571-9742
DM

- ✓ أثرى الشيخ محمد المكي بن عزوز المكتبة العربية والإسلاميّة ببواكر علميّة قيّمة في مجالات متعدّدة، لا تزال إلى اليوم مرجعا للطلبة والباحثين.
- ✓ بالرّغم من تحدّيات المتأثّرين بالغرب من جهة والرّاكنين إلى التّقليد من جهة أخرى، إلاّ أنّ المكي بن عزوز احتفظ بالمنهج الإسلامي، فجاءت تقريراته في مسائل العقيدة موافقة لمنهجه، وظهرت موافقةً لطريقة الكتاب والسنّة، واتباعه لما قرّره سلف الأمّة –عليهم رضوان الله– وعدم خروجه عمّا أجمعوا عليه.
- ✓ الحكم على عقيدة بن عزوز أو منهجه لا يجب أن ينظر فيه إلى مرحلة معيّنة أو جزيئيات من أقواله، وإنّما الاعتبار يكون للمنهج العام الّذي يستقرأ من خلاله كلامه وتقريراته، وإلاّ اختلّ ميزان التّقييم وأفضى إلى الحكم بغير علم.
- ✓ الشيخ يرى تقديم النّقل على العقل لأنّ النّقل معصوم والعقل له حدّ يعجز عن تجاوزه.
- ✓ يعتبر المكي بن عزوز من المفسّرين البارزين في هذا العصر ومفكّريه، والّذي أسهم بآرائه ونشاطه وتلاميذه في التّأثير في نمط التّفكير السّائد في بلاده، حتّى غدت تعاليمه الأساس الكامن لكثير من العلاقات الاجتماعية والأفكار الدّينية لدى المسلم المثقّف في الوقت الحاضر.

الإحالات:

1ـ عبد الرحمن الجيلالي: ترجمة الأستاذ المكي بن عزوز، مجلة الشهاب، العدد 11، مج 6، دار الغرب الإسلامي، ط1، ص661 ـ662

2ـ محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1،1984، بيروت، ص 382

3ـ نخبة من المؤرخين والباحثين، من أعلام بسكرة المعاصرين، محاضرات الملتقى الوطني الثامن (بسكرة عبر التاريخ)، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، ديسمبر 2009م، ص 19 ـ 20.

4ـ المكي بن عزوز: عقيدة الإسلام، ترجمته بقلم الأستاذ محسن زكريا، طبع بتونس، 1947، ص ـ ب ـ

5ـالمصدر نفسه، ص ـ ج ـ

6ـمحمد الفاضل بن عاشور: تراجم الأعلام، الدار التونسية للكتاب، ط2، تونس، 1983، ص 189.

7ـ علي الرضا الحسيني: المكي بن عزوز ـ حياته وآثاره ـ ، الدار الحسينية للكتاب، 1997، ص 07 ـ 08.

8ـ عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص.859

9ـ المكي بن عزوز: عقيدة الإسلام، مصدر سابق، ص ـ ج ـ

10ـمحمد الفاضل بن عاشور: تراجم الأعلام، مصدر سابق، ص .189

11ـعلي الرضا الحسيني: المكي بن عزوز ـ حياته وآثاره ـ مرجع سابق، ص .11

12ـالمرجع نفسه، ص .13

13ـ عبد الرحمن الجيلالي: ترجمة الأستاذ المكي بن عزوز، مجلة الشهاب، مصدر سابق، ص663 ـ 664

14ـ عبد الحليم صيد: ديوان البرحي، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ص .10

15ـ محمد زرمان: شيخ الإسلام محمد المكي بن عزوز ـ نضاله السياسي ونشاطه العلمي، مجلة " آفاق الثقافة والتراث "، مجلة ثقافية تصدر عن قسم الدراسات والمجلة بمركز الماجد للثقافة والتراث، السنة الحادية عشر، العدد الثاني والأربعون، جمادى الأولى 1424هـ ،جويلية 2003م ، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص 104.

16ـ علي الرضا الحسيني: مجموعة الرسائل للعلامة محمد المكي بن عزوز، الدار الحسينية للكتاب، 2002، ص 116

17ـمحمد الفاضل بن عاشور: تراجم الأعلام، مصدر سابق، ص .192

18ـعلي الرضا الحسيني: المكي بن عزوز ـ حياته وآثاره ـ مرجع سابق، ص .24

19ـالمرجع نفسه، ص.15

20ـ محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ط1، المطبعة العربية الجزائرية، 1965، الجزائر، ص .146

21ـ عبد الرحمن الجيلالي: ترجمة الأستاذ المكي بن عزوز، مجلة الشهاب، مصدر سابق، ص .666

22ـ سمير سمراد: الشيخ المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية، مجلة الإصلاح ـ مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع، السنة الثانية، العدد 12، ذو القعدة / ذو الحجة 1429هـ ، نوفمبر / ديسمبر 2008، ص ـ ص 59 ـ 60.

23ـ علي الرضا الحسيني: المكي بن عزوز ـ حياته وآثاره ـ مرجع سابق، ص .14

24ـ سمير سمراد: الشيخ المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية، مجلة الإصلاح ، مرجع سابق، ص.57

25ـ عبد الرحمن الجيلالي: ترجمة الأستاذ المكي بن عزوز، مجلة الشهاب، مصدر سابق، ص 724 ـ 725.

26ـ علي الرضا الحسيني: المكي بن عزوز ـ حياته وآثاره ـ مرجع سابق، ص .17

27ـ الرضا الحسيني: مجموعة الرسائل للعلامة محمد المكي بن عزوز، مرجع سابق، ص .121

28ـ عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مصدر سابق، ص 856.

29ـمحمد الخضر حسين: دراسات في الشريعة الإسلامية، مقال: كيف تستنبط القواعد من الكتاب والسنة، ص 17.

30ـ عبد الرحمن الجيلالي: ترجمة الأستاذ المكي بن عزوز، مجلة الشهاب، مصدر سابق، ص .725

E- ISSN : 2571-9742
DM

31ـ محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، 1344هـ / 1926م، ص 138 ـ 142.

32ـ محمد الخضر حسين: ديوان خواطر الحياة ، حققه وعلق عليه علي الرضا الحسيني، ص 258.

33ـ المكي بن عزوز: عقيدة الإسلام، مصدر سابق، ص ـ ج ـ

34ـ عبد الرحمن الجيلالي: ترجمة الأستاذ المكي بن عزوز، مجلة الشهاب، مصدر سابق، ص 664

35ـالمصدر نفسه، ص 663.

36ـمحمد الفاضل بن عاشور: تراجم الأعلام، مصدر سابق، ص 192.

37ـ عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مصدر سابق، ص 878.

38ـالمصدر نفسه، ص 856.

39ـ محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المطبعة السلفية ، القاهرة، 1349هـ ، ص 423.

40ـ محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، مرجع سابق، ص 146

41ـسمير سمراد: الشيخ المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية، مرجع سابق، ص.62

42ـ محمد الصالح رمضان: الشيخ المكي بن عزوز،شخصيته ومكانته العلمية والإجتماعية وآثاره، محاضرة ألقيت في الأيام الدراسية الثانية لدائرة طولقة من 03 إلى 05 جوان 1987، ص 05.

43ـ محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ص 384.

44ـ ينظر كتاب رسائل ابن عزوز " العلامة المكي بن عزوز "، جمع وتحقيق الأستاذ علي رضا الحسيني، ط1، 1404هـ / 1984م، و كتابه: محمد المكي بن عزوز " حياته وآثاره "، الذي تتبع جميع عناوين ومؤلفات المكي بن عزوز مرتبا إياها حسب حروف المعجم من ص 24 إلى ص 30، والتي بلغت بإحصائه (103) مؤلف بين مطبوع ومخطوط، وينظر كذلك إلى كتاب " ديوان البرجي " للأستاذ عبد الحليم صيد الذي نقل قائمة مؤلفات الشيخ المكي بن عزوز (ص 27 ـ 37)، مع زيادة في التوضيح والإستدراك فأحصى (108) مؤلف، إلاّ أنّني استدركت مجموعة أخرى من هذه الكتابات، والتي بلغت عندي عدد 112 مؤلف بين مخطوط ومطبوع.